

تفسير البحر المحيط

@ 113 @ الحديث : (ما أنا من الدد ولا الدد مني) ، والد الدد اللعب واللعب واللهو قيل :
هما بمعنى واحد وكرر تأكيداً لذم الدنيا . وقال الرمانى : اللعب عمل يشغل عما ينتفع به
إلى ما لا ينتفع به ، واللهو صرف النفس عن الجدّ إلى الهزل يقال : لهيت عنه أي صرفت
نفسى عنه ورد عليه المهدوي ، فقال هذا : فيه ضعف وبعد لأن الذي معناه الصرف لأمه ياء
بدليل قولهم : لهيان ولام الأول واو ؛ انتهى . وهذا التضعيف ليس بشيء لأن فعل من ذوات
الواو تنقلب فيه الواو ياء كما تقول : شقي فلان وهو من الشقوة فكذلك لهي ، أصله لهو من
ذوات الواو فانقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها فقالوا : لهي كما قالوا : خلى بعيني وهو
من الحلو وأما استدلاله بقولهم في التثنية لهيان ففاسد لأن التثنية هي كالفعل تنقلب فيه
الواو ياء لأن مبناها على المفرد وهي تنقلب في المفرد في قولهم : له اسم فاعل من لهي
كما قالوا : شج وهو من الشجو ، وقالوا في تثنيته : شجيان بالياء وقد تقدم ذكر شيء من
هذا في المفردات . وقرأ ابن عامر وحده ولدار الآخرة على الإضافة ، وقالوا : هو كقولهم :
مسجد الجامع فليل هو من إضافة الموصوف إلى صفته . وقال الفراء : هي إضافة الشيء إلى
نفسه كقولك : بارحة الأولى ويوم الخميس وحق اليقين ، وإنما يجوز عند اختلاف اللفظين ؛
انتهى . وقيل : من حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه أي ولدار الحياة الآخرة ، ويدل عليه
وما الحياة الدنيا وهذا قول البصريين ، وحسن ذلك أن هذه الصفة قد استعملت استعمال
الأسماء فوليت العوامل كقوله { وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ } وقوله {
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ } . وقرأ باقي السبعة { وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ }
بتعريف الدار بأل ورفع { الْآخِرَةَ } نعتاً لها و { خَيْرٌ } هنا أفعال التفضيل وحسن
حذف المفضل عليه لوقوعه خبراً والتقدير من الحياة الدنيا ، وقيل : { خَيْرٌ } هنا ليست
للتفضيل وإنما هي كقوله : { أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مِّمُّسْتَغْرَّاءٍ }
إذ لا اشتراك بين المؤمن والكافر في أصل الخير ، فيزيد المؤمن عليه بل هذا مختص بالمؤمن
. والدار الآخرة قال ابن عباس : هي الجنة . وقيل ذلك مجاز عبر به عن الإقامة في النعيم
كما قال الشاعر : % (أيام نجد والنعيم بها % .
قد كان داراً لنا أكرم به دارا .
%)

ومعنى { الّٰذِينَ يَتَّبِعُونَ } يتقون الشرك لأن المؤمن الفاسق ولو قدرنا دخوله النار فإنه بعد يدخل الجنة فتصير الدار الآخرة خيراً له من دار الدنيا ، وذكر عن ابن

عباس خير لمن اتقى الكفر والمعاصي وقال في المنتخب نحوه قال : بين اﷲ تعالى أن هذه
الخيرية إنما تحصل لمن كان من المتقين المعاصي والكبائر ، فأما الكافرون والفاسقون فلا
لأن الدنيا بالنسبة إليهم خير من الآخرة ؛ انتهى ، وهو أشبه بكلام المعتزلة . وقال
الزمخشري : وقوله : { لِّلْكَافِرِينَ يَنتَظِرُونَ } دليل على أن ما سوى أعمال المتقين لهو
ولعب ، انتهى . وقد أبدى الفخر الرازي الخيرية هنا فقال : خيرات الدنيا خسيصة وخيرات
الآخرة شريفة ، وبيانه أن خيرات لدنيا ليست إلا قضاء الشهوتين وهو في نهاية الخساسة ،
بدليل مشاركة الحيوانات الخسيصة في ذلك وزيادة بعضها على الإنسان في ذلك كالجمل في كثرة
الأكل والديك في كثرة الوقاع والذئب في القوة على الفساد ، والتمزيق والعقرب في قوّة
الإيلام وبدليل أن الإكثار من ذلك لا يوجب شرفاً بل المكثّر من ذلك ممقوت مستقذر مستحقر
يوصف بأنه بهيمة ، وبدليل عدم الافتخار بهذه الأحوال بل العقلاء يخفونها ويختفون عند
فعالها ويكنون عنها ولا يصرّحون بها إلا عند الشتم بها ، وبأن حقيقة اللذات دفع الآلام
وبسرعة انقضائها فثبت بهذه